

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمان العدد ٢٠ ملياً

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها السئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بتارح السلطان حسين

رقم ٨١ - طابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٦٨٤ « القاهرة في يوم الإثنين ١٤ رمضان سنة ١٣٦٥ - ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

النقد عند العرب

وأسباب ضعفهم فيه

- ٣ -

→→→→→

لا يستقل بالإفادة . وربما مدحوا الاستقلال بين شطري البيت ؛ فقد روى الجاحظ في البيان عن عمرو بن العلاء أن ثلاثة من الرواة اجتمعوا فقال لهم قائل : أي نصف بيت شعر أحكم وأوجز ؟ فقال أحدهم : قول حميد بن ثور : وحسبك داء أن تصح وتسلما . وقال الثاني : بل قول أبي خراش الهذلي :

توكل بالأدنى وإن جلت ما يعصى .

وقال الثالث : بل قول أبي ذؤيب : وإذا رُرد إلى قليل تنقع . فقالوا إنه لا يستغنى بنفسه ، لأن السامع لا يفهم معناه حتى يسمع النصف الأول ، والصواب أن يقال قوله :

والدهر ليس بمعتب من يجزع

وكان من آثار استقلال البيت بمعناه أن كثر التقديم والتأخير في أبيات القصيدة حتى لا تجد قصيدة جاهلية يتفق راويان على ترتيب أبياتها .

والأمر الخامس أن الغلبة كانت للرأي القائل بأن الشعر إنما يكون آراءً وبلاغه بما فيه من تغير الأوضاع وصور المجاز وأنواع البديع ، حتى أن ابن رشد الحفيد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ قال في تلخيص كتاب الشعر لأرسططاليس ما نصه : « والقول (الشعري) إنما يكون مختلفاً أي متغيراً عن القول الحقيقي من حيث توضع فيه الأسماء متوافقة في اللوازنة والمقدار ، وبالأسماء القريبة ، وبغير ذلك من أنواع التغير . وقد يستدل على أن القول الشعري هو التغير أنه إذا غير القول الحقيقي سمي شعراً أو قولاً شعرياً ووجد له قيل الشعر . مثال ذلك قول القائل :

أما الأسباب التي دفعتهم إلى سلوك هذا النهج في نقد الشعر ، فمن السهل تلخيصها في خمسة أمور لا يصعب عليك استنتاجها مما تقدم :

الأمر الأول ما ذكرناه من أن علماء اللغة والنحو لم يروا الفضل في الشعر إلا فيما يمكن الاحتجاج به ، وحسبهم من ذلك البيت والبيتان .

الأمر الثاني - وهو من قبيل الأول - أن علماء البيان والبديع ، ومنهم أكثر النقاد ، كانوا يكتبون بالشرط أو البيت أو البيتين شاهداً على صورة من صور البيان ، أو نوع من أنواع البديع .

الأمر الثالث أن القصيدة العربية بطبيعتها مجموعة من مقطوعات تتفق في الوزن والقافية ، وتختلف في المعنى والفرس . فإذا أخرجت مقطوعة ما من قصيدة وأدخلتها في أخرى تكون من بحرهما ورويها لا تجس بقصصاً في الأولى ولا كلاً في الأخرى .

الأمر الرابع أن الشعراء أرموا أنفسهم أن يكون كل بيت من أبيات القصيدة مستقلاً بمعناه من غيره ، وجعلوا من عيوب الشعر (التضمين) وهو أن تعلق قافية البيت بما بعده على وجه

الكلام لا تكون بالرونق والأناقة والصنعة وحدها، وإنما تكون مع ذلك بقوة التعبير عما تكمنه الضمائر ونحوه الشاعر، وبدقة التصوير لمختلف الطبائع والمواطف والأخلاق والشهوات والصفات حتى ترى صور أصحابها الحقيقيين أو التخيليين تتحرك وتقل وتقول على مقتضى الفرائز الثابتة والفطر الأصلية؛ وبكشف الغطاء عن طبيعة الشخص بكلمة تجرى على لسانه، أو حركة تحدث عن يده، فتكون تلك الكلمة أو الحركة كوميض البرق في الظلام تنير الأفق بفتحة؛ وبإبراعة الوصف لمناظر الطبيعة وظواهر الكون حتى نحس فيها الحياة والحركة ونذكر ما بينها وبين النفس وانفعالها من اتصال وعلاقة؛ وبشدة التأثير في الأفتدة حتى تستيقظ فيها رواقد الأهواء والمواطف، فتطرب النفس أو تغضب، وتفرح أو تحزن، وترضى أو تسخط، وتحب أو تبغض.

لأن نوابغ الكتاب والشعراء فطنوا أو نهوا إلى ذلك لكان من هم الناقد أن ينظر فوق ما ينظر في الألفاظ والصور إلى تنسيق المعاني وترتيب الأفكار في جملة القصيدة أو الخطبة أو المقالة أو القصة، أو الكلام على العموم سواء أكان شعراً أم كان نثراً؛ لأن سلامة الجزء المنفصل، أو بلاغته البيت المنفرد، لا تدل حتماً على سلامة الكل أو على بلاغة القصيدة.

كذلك كان ينبغي للناقد أن ينظر في الموضوع الذي عالجه الفنان ليرى أبلغ القصد فيما صور، وأصاب الشاكلة فيما رأى، وقارب الحقيقة فيما تخيل. وهل استطاع أن يبعث الحياة الطبيعية الحقيقية في الأشخاص الذين توهمهم ورسمهم. وهل قدر على أن يحرك في قلوبنا أهواء ساكنة، وبشئ في نفوسنا عواطف جديدة، بما أوحاه أو استدعاه أو رواه من الأماني والذكريات والحوادث؟

كذلك كان من عمل الناقد البياني أن يحلل ما ينشأ في نفس القارئ لروائع الكتاب والشعراء من المواطف، وأن يبين كيف يستطيع الكاتب أو الشاعر أن ينشئ هذه المواطف أو يوحىها. ومن ثم كانت المقالات النقدية عند الفرنج عملاً فنياً قائماً بذاته يبيى أصحابه مقاعد النبوغ والخلود.

وإذا تدبرت وظيفة الناقد من بعض ما ذكرته تبينت لك العلاقة بين النقد وعلم النفس، فإن موضوعه تحليل الأحاسيس والمواطف، والبحث عن طبيعة الخلال وما يصدر عنه من الاتصالات والأهواء،

ولما قضينا من معنى كل حاجة ومستح بالأركان من هو ماسح أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق الطلي الأباطح وإنما صار شعراً لأنه استعمل: أخذنا بأطراف الأحاديث الخ. بدل قوله تحدثنا ومشيئنا.

وكذلك قوله: بعيدة مهوى القُسط، وإنما صار شعراً لأنه استعمل هذا القول بدل قوله: طريفة العنق. وكذلك قول الآخر: يادارُ أين طباؤك الأُسس قد كان لي في إنسها أنس وإنما صار شعراً لأنه أقام الدار مقام الناطق بمخاطبتها، وأبدل لفظ النساء بالطباء، وأتى بمواقفة الإنس والأنس في اللفظ. وأنت إذا تأملت الأشعار المحركة وجدتها بهذه الحال. وما عدا هذه التغيرات فليس فيه من معنى الشعرية إلا الوزن فقط، والتغيرات تكون بالموازنة والمواقفة والإبدال والتشبيه وبالجملة بإخراج القول غير مخرج المادة، مثل القلب والحذف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير وتغيير القول من الإيجاب إلى السلب، ومن السلب إلى الإيجاب، وبالجملة من المقابل إلى المقابل.

وما دام الشعر مبنياً على هذه الصور والأشكال، فلا يكون النظر فيه إلا من جهة البيان والبديع، وذلك يقتضى النظر في بعض الآيات وفي بعض أنواع الكلام.

لهذه الأمور الخمسة انحصر النقد البياني عند العرب في جزء واحد من النقد بمناء العام عند الفرنج، وضاعت علوم البلاغة عندهم هذا الضيق الفاحش، فلم تتألف غير آيات وقصر من الكلام المنظوم والنثر السجوع، وأغفلت القصيدة باعتبارها وحدة لا تتفرق، والكتاب باعتباره كلاً لا يتجزأ، ولم تحفل ما ألف والنثر المرسل من الكتب والقصص. وجر ذلك إلى أن الشعراء والكتاب أوغلوا في البديع وتفتتوا في الزخرف، وأهلوا فن القصص فتركوه لأدباء الشعب، ولم يستوا منه إلا بالمقامات لأنها مظهر الصنعة ومحك القدرة، فحرموا بذلك الأدب العربي فنا كانوا هم بسليقتهم أقدر الناس على التوفر له والافتتان فيه.

ومن ذلك يتضح أن فهم الأقدمين الشامل، لحقيقة الفن الشعري والكتابي جر إلى حصر النقد البياني في الصور والأشكال، وهذا الحصر نفسه قد وجه الشعراء والكتاب إلى الاحتفال باللفظ بدون المعنى، وبالصورة قبل الفكرة، فغابت أكثرهم أن روعة